

ملخص البحث :-

زخر التاريخ القديم لبلاد الرافدين بشخصيات كبيرة اضطلعت بدور مهم في وقائع الأحداث السياسية التي وقعت خلال فترات حكمهم وقد انعكس ذلك على الجانب الحضاري إذ لعبوا دوراً ريادياً في وضع أسس الحضارة العالمية ومن بعد ذلك لعبوا دوراً في ازدهارها وتطورها وما يدل على ذلك هو ما تركوه لنا مدون على مخلفاتهم المادية كالمنحوتات الأثرية والنصب التذكارية التي ما يزال قسماً منها شاخصاً إلى يومنا هذا، وكانت هنالك عوامل عديدة ساعدتهم في تحقيق تلك الإنجازات ولعل من أبرزها حسب اعتقادنا هو استخدامهم للدعاية الإعلامية كوسيلة لتثبيت سلطانهم وكأداة من أدوات تنفيذ سياساتهم الخارجية ، وهي على شقين أحدهما إيجابي والآخر سلبي فالأول أن يكون هدف الملك (رجل الدعاية) أحداً تغير في سلوك الموجه إليه وهو تغيير ما متوقع الحدوث ، وقد أستعمل الملوك القدامى وسائل عديدة لتمرير دعايتهم السياسية أساليب عدة في تلك الدعاية منها استخدامهم لحرب النفسية وكذلك استخدامهم لأسلوب التشهير بالخصم والرعب والترهيب بشكل مأساوي.

توزعت محتويات البحث على مبحثين الأول تناول فيه الوسائل والأساليب التي وردت في المخلفات المادية لأولئك الملوك ومنها المشاهد لتصويرية المنقوشة على المنحوتات الأثرية والنصب التذكارية والمسلات ، أما المبحث الثاني فقد تحدثنا فيه عن الوسائل والأساليب التي استخدمت في الأحداث السياسية التي وقعت في مدينة بابل وفي مقدمتها المعارك الفاصلة في تاريخها.

المقدمة

يتحدد موضوع بحثنا في بيان الوسائل والأساليب التي أتبعها الملوك الذين فرضوا سيطرتهم على مدينة بابل خلال الألف الأول قبل الميلاد في دعايتهم ذات المدلول السياسي والتي سطر قسماً منها الفنان العراقي القديم على المنحوتات الأثرية بهيئة مشاهد طغت عليها المسحة العسكرية والسياسية البحتة ، وفي أغلبها نجد العامل الديني وقد لعب دوره في تثبيت أركان تلك السياسة باعتباره أداة ضغط استخدمت لتمريرها على المجتمع البابلي القديم وبكافة طبقاته ، والقسم الآخر ولدته الأحداث السياسية التي وقعت في البلاد وفي مقدمتها المعارك الفاصلة إذ جاءت الدعاية السياسية تعكس لنا الفكر السياسي عند أولئك الملوك وطبيعة تعاملهم مع تلك الأحداث إذا أعطوها أي الدعاية حيزاً كبيراً مستفيدين من نتائجها الإيجابية من خلال إيقاع أكبر الخسائر في صفوف العدو قبل القيام بالعمليات العسكرية وقد قاموا بمنجزات رائعة في هذا الخصوص ومن هنا جاء اختيارنا لهذا الموضوع لتلقي بصيصاً من الضوء على الفكر السياسي لدى ملوك بابل خلال تاريخها القديم.

ولكنرة تلك المشاهد والأحداث فقد أخذنا ببعض منها لتكون دليلاً على ما ذهبنا إليه في بيان أساليب ووسائل الدعاية الإعلامية في بابل وكان الاختيار حسب أهمية تلك المشاهد وليس بحسب تسلسلها التاريخي. يهدف البحث إلى الكشف عن جانب من الفكر السياسي لدى الملوك الذين حكموا مدينة بابل خاصة أولئك الذين جاءوا من الخارج واستلموا زمام الحكم فيها سواء بالشكل السلمي أم عن طريق الصراع العسكري وكان القاسم المشترك بين الاثنين هو استخدامهم للدعاية الإعلامية ذات المدلول السياسي لتثبيت دعائم حكمهم فيها وهذا ما سنبينه من خلال هذا البحث.

أولاً :- الدعاية الإعلامية في ضوء المشاهد المصورة على المنحوتات الأثرية.

أن أهم ما يميز المشاهد المصورة على المنحوتات الأثرية لموك بلاد وادي الرافدين خاصة ما كان يتعلق منها بالجانب الحربي هو عنصر المبالغة في استخدام القوة ضد أعدائهم والقوة المتناهية في معاملة

أعدائهم إذ نجدهم قد بالغوا في أرقام الخسائر بالنسبة للجانب المعادي من القتلى والأسرى ولم تتطرق إلى ذكر خسائرهم كما بالغت في سرد ألقاب الملوك وشجاعتهم وعظمتهم وغلب عليها جانب الأطناب والمبالغة وعدم الصراحة واحتفاظهم بالنصر في كل المعارك التي قاموا بها^(١)، ويبدو أنهم كانوا يبيغون من وراء ذلك دعاية إعلامية الغاية منها تثبيت أركان سلطتهم من خلال زرع روح الخوف والرهبة في صدور أعدائهم لإخماد نار الثورة والعصيان ضد تلك السلطة بدليل ان تلك المشاهد قد وضعت في الأماكن التي استخدمت لاستقبال الملوك الوافدين من الأقاليم التابعة لسلطتهم .

فالحرب النفسية التي استخدموها ضد أعدائهم والتي بدت واضحة من خلال منحوتاتهم الحربية هي نوع من أنواع الدعاية الإعلامية التي قصدوا من ورائها إحداث تغير في السلوك العام لأعدائهم من خلال الهالة الإعلامية الكبيرة التي استخدموها في وصف قوتهم العسكرية ونتائجها الوخيمة على أعدائهم متى ما فكروا بالعدوان عليهم أو متى ما فكرت الأقوام والمدن المنطوية تحت سلطتهم الانفصال عن سياستهم المركزية.

في الوقت الذي أندفع فيه الآشوريين^(٢) نحو الغلو في استخدام القوة ضد أعدائهم والتي بدت واضحة من خلال المشاهد الحربية التي برزت بصورة واضحة خلال عصرهم الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م) نجد ان البابليين قد ركزوا على الجانب العمراني وأولوه اهتماماً أكثر من الجانب الحربي فقصورهم لم تحمل على جدرانها تلك المشاهد الحربية التي ألفناها عند الآشوريين^(٣) ، ولعل من بين الاسباب العديدة التي علل بها الباحثين ذلك هو انعدام الحجارة التي أستخدمها الآشوريين في البناء والمعروف عن بلاد بابل أنها كانت تفتقر الى تلك المادة الإنشائية وقد استعاضوا عنها بالآجر المصنوع من الطين المفخور،^(٤) يضاف إلى ذلك أن مآثر الملوك البطولية في المعارك لم تعد تحتل المكانة الأولى لدى ملوك بابل بل جاءت أعمالهم في بناء المعابد وأعمالهم الدنيوية في بناء القصور التي وجدوا فيه خير شفيح تخليد ذكراهم.^(٥)

وخلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد أصبحت بلاد بابل في معظمها تابعة لسلطة الملوك الأقوياء من بلاد آشور وقد حكموها حكماً مباشراً إذ وردت أسمائهم مدونة ضمن أرشيف أسماء ملوك بابل^(٦) ، وقد أستخدم الملوك أساليب دعائية من أجل تثبيت سلطانهم هناك ويبدو أن أسلوب المهادنة والترضية هو الأسلوب الأكثر شيوعاً بين تلك الأساليب ومن بين المشاهد المهمة التي اخترناها لتكون شاهداً على ما ذهبنا إليه أنفاً لوح نقش على قاعدة من حجر الكلس عثر عليها في قصر الملك شلمنصر الثالث وهو رابع الملوك الآشوريين الذين حكموا في العصر الآشوري الحديث وواحد من أبز القادة والساسة الآشوريين على مدى تاريخ الدولة الآشورية^(٧) ، وتقع بقايا ذلك القصر في مدينة نمرود^(٨) حيث ظهر فيه الملك الآشوري مصافحاً الملك البابلي مردوخ - زاکر - شومي والمشهد فريد من نوعه إذ أظهر الملكين وهما ندين متكافئين من حيث حجميهما المتساوين والطريقة التي تقدما بها نحو بعضهما البعض قبيل وأثناء التصافح^(٩) . (شكل رقم واحد)، ويبدو أن المكانة الحضارية لبابل عند الملك الآشوري شلمنصر الثالث قد دفعت به إلى أن يوعز للفتان الآشوري الذي قام بنقش هذا المشهد أن يجعل منهما متكافئين إحداهما للآخر وهذا الأسلوب لم يكن معهوداً في فن النحت الآشوري إذ عادة ما نجد أنداد الملوك الآشوريين يظهرون بأحجام صغيرة وربما الهدف منها التصغير من شأن أولئك الملوك والاستهزاء بهم ويظهر ان هذا الأسلوب هو من أساليب الحرب النفسية التي شنوها ضد أعدائهم من الملوك ولعل ذلك يدفعا للقول أن الملك الآشوري أراد أن يجعل من هذا المشهد دعاية إعلامية لسياسته تجاه بابل من أجل كسب ود سكان هذه البلاد ، وقد أقيم هذا المشهد أمام أنظار الجميع^(١٠) ويمكن عد هذا المشهد من المشاهد التي أسست لما هو متعارف عليه اليوم من تقليد إعلامي

ودعائي ذات طابع دبلوماسي والذي يحدث بحضور نخبة من الصحفيين لتوثيق ما يدور من كلام من الملوك المجتمعين لغرض إنجاز عمل سياسي وحضاري.

وكان من بين الإجراءات المهمة التي قام بها الملك شلمنصر الثالث عند دخوله بابل والتي يمكن عدّها نوع من أنواع الدعاية السياسية التي أستخدمها لتعزيز سيادته عليها هو اهتمام بالجانب الديني لدى سكان هذه البلاد فوجدناه يقدم القرابين لألهتها وكان الإله ((أد))^(١١) هو أبرز تلك الآلهة التي حُضيت باهتمامه^(١٢) ، وتابع بعد ذلك زيارته المنكرة الى المدن البابلية الكبيرة (بابل وكوثا وبورسيبا) وقد أد الطقوس والمراسيم الدينية على شرف الآلهة فيها^(١٣) ، وفي معظم تلك الزيارات كان الملك يظهر على أنه خادماً ومطيعاً لرغبات تلك الآلهة ، وخلال تلك المناسبات وزع هذا العاهل الآشوري الهدايا الى سكان هذه البلاد وكانت عبارة عن ملابس ملونة ومزكرشة^(١٤).

يبدو لنا من خلال ذلك ان الملك الآشوري الآنف الذكر والذي عرف بنزعته العسكرية في معالجة القضايا العامة التي كانت تواجهه في إدارة الدولة الآشورية قد عرج نحو استخدام حلول لمواجهة تلك العراقيل وفي مقدمتها استخدامه للدبلوماسية كحل للتعامل مع سكان بلاد بابل فأستخدم الدعاية الإعلامية ذات المدلول الديني من أجل كسب ود البابليين ، ويبدو أنه كان يدرك مدى تغلغل الدين في حياة سكان بابل لذا نحا هذا المنحى الدعائي لتوطيد سياسته هناك.

لقد مال بعض الملوك الآشوريين الذين حكموا مدينة بابل في تلك المدة إلى استخدام الدعاية الدينية المقصود من ورائها دعاية سياسية الغرض منها كسب ود الشعب البابلي ليتقبلوا حكمهم فالملك أسر حدون وهو أحد الملوك الأقوياء لبلاد آشور أعاد بناء مدينة بابل بعد أن خربها أبيه الملك سنحاريب^(١٥) ، وقد وصلتنا من عهده مجموعة من المنحوتات الأثرية التي جاءت تشير إلى اهتمامات هذا الملك بالمدينة وفي إحداها وهو المصنوع من الحجر الأسود نقشت عليه مشاهد فيها وصف لأعماله العمرانية في أسوار معابد بابل^(١٦) ، وقد تضمن محتوى هذه المنحوتة مشاهد ذات طابع فني بابلي وأخرى ذات طابع آشوري وقد دمجت معاً لتعطي المشهد العام للمنحوتة وفيها نجد الشجرة المقدسة الآشورية وتاج ذو القرنين مستقراً على مذبح (الشكل رقم ٢) وهو مشهد متعارف عليه في بلاد بابل وأحتوى أيضاً على محراث بابلي ونقش لنخلة مثمرة^(١٧) ، ومن سياق تلك المشاهد يبدو لنا من الواضح أن الفنان الآشوري كان يريد أن يقلد ما متعارف عليه من فن في بلاد بابل وأن يبتعد عن الأسلوب المتبع في سياق المشاهد الآشورية والمتمثل في الغلو في استخدام القوة العسكرية ومن الوارد جدا إن الملك الآشوري هو الذي أوعز للفنان الآشوري لينحى هذا المنحى المشابه لطبيعة الفن البابلي من أجل كسب ود البابليين وهذا جزء من مشروع الترضية التي أتبعها مع سكان مدينة بابل والذي بدأه بإعادة بناء مدينتهم.

وبعد عصر الملك آشور بانيبال آخر عصور القوة والعظمة التي مرت بها الدولة الآشورية حيث وصلت خلاله عنفوان مجدها السياسي والحضاري إذ فرضت سيطرتها على جميع بلدان الشرق القديم آنذاك^(١٨) ، وكانت بابل تقف في مقدمة تلك البلدان وقد حُضيت بأهمية عند ملوك آشور بصورة عامة وهذا الملك بصورة خاصة إذ عدوها جزءاً متمماً لبلادهم^(١٩) ، ولعل ذلك ناتج عن الأصل الثقافي والحضاري الواحد لذا وجدنا هذا المملك وقد اتبع أسلوب الترضية والتهنئة مع سكانها إذ لجأ إلى استخدام الدعاية الدينية من أجل توطيد حكمه هناك والتي كان يرمي من خلالها الحصول على المكاسب السياسية ، فعندما جدد معبد الآله مردوخ^(٢٠) في بابل عمد إلى أتباع العرف الشائع عند ملوك بابل والمتمثل في المشاركة في العملية البنائية إذ عثر في بابل على منحوتة أثرية نقشت على حجر الكلس تعود للملك آشور بانيبال حملت مشهداً

للملك نفسه وهو في لباسه الملكي وقد حمل على رأسه سلة مملوءة بالتراب للقيام بطقس صب الأجرة الأولى التي استخدمت في بناء معبد الإيساكيل^(٢١)، (شكل رقم ٣) ويبدو من خلال هذا المشهد أن الملك الآشوري الأنف الذكر قد استخدم الدعاية المبطنة بالنوايا السياسية من أجل أن يتقبل البابليين حكمه عليهم لذا فقد وجدناه وقد قلد العرف الشائع في بلاد بابل والمتمثل بأعمال الملوك العمرانية خاصة في الجانب الديني وه عمل محبي لدى سكان هذه المدينة الذين عرفوا بنزعتهم الدينية التي طغت على جميع فعالياتهم اليومية.

ثانياً :- الدعاية الإعلامية في ضوء الأحداث السياسية.

ومن خلال العودة إلى الأحداث السياسية التي وقعت في مدينة بابل خلال الألف الأول قبل الميلاد وجدنا قسماً منها قد أفتعل بدافع أستغلال العاطفة الدينية لسكانها للحصول على المكاسب السياسية وكان ذلك من الأساليب والوسائل الإعلامية المهمة التي حققت نجاحات كبيرة في إنجازات سياسية ما كان لها أن تحقق بسهولة لو أنها سارت في طريق الحروب ومن بين الأحداث السياسية التي أختارناها لتكون شاهداً على ذلك سقوط بابل عام ٥٣٩ ق.م على يد الأخمينيون^(٢٢) ، وقد وجدنا ملكهم كورش الكبير قد سعى إلى استخدام الدعاية الإعلامية الدينية المبطنة بالنوايا السياسية المغرضة إذ أندفع نحو أستمالة الشعب البابلي لتقبل حكمه عن طريق أستغلاله لعاطفتهم الدينية ويبدو انه حقق ما يصبو إليه بل دليل أننا لم نقرأ عن وجود ثورات سياسية قد أندلعت ضد سلطته في مدينة بابل ، وقد تجسدت سياسته في التلويح بأن السبب الذي دعاه للتوجه صوب بابل واحتلالها هو أن الأله مردوخ أله بابل طلب منه (أن يجهز جيشاً بعدد الماء الموجود في النهر محملاً بأسلحته الثقيلة ليجنب بابل الكوارث ويزيح نبونائيد عن حكمها)^(٢٣) ، وعند دخوله بابل قام بمجموعة من الإجراءات التي حملت في طياتها نوايا السياسية تلك فقد أعاد العبادات الدينية التي كانت سائدة قبل تولي نبونائيد حكم بابل^(٢٤)، ومن أجل أن يجعل سكان بابل يقبلون بأحتلاله لهم ويقبلوه خليفة شرعي لنبونائيد أخذ يمسك بيد الإله مردوخ في أحتفالات عيد رأس السنة البابلية وأدعى أن خادم له ، وأعاد تماثيل الآلهة التي جلبها نبونائيد من أماكن مختلفة من البلاد مع كهنتها إلى مكانها الأصلي حيث جاء في أحد نصوصه ما يؤكد ذلك:

" الآلهة المقيمة هناك أعدتها إلى مساكنها وآلهة سومر وأكد التي

جلبها نبونائيد لإغضاب سيد الآلهة مردوخ السيد العظيم جعلها تتخذ

من معابدها المكان الذي يريح قلبها ، أنا كذلك جمعت العبادات في

المساكن وقد قمت بإعادتها إلى مساكنهم"^(٢٥)

ووجدت رسالة تعود للملك كورش الكبير وقد احتوت على نص يؤيد قيامه بإعادة الآلهة من بورسييا^(٢٧) إلى مجلس أو مجمع إيزدا الذي كانت تحميه (ننا)^(٢٨) الآلهة ذات السيادة الدينية في مدينة الوركاء^(٢٩) وقد أعدت إلى معابدها وأشار ذلك النص إلى أن تلك الآلهة قد ابتهجت قلوبها كونه أعاد ماء الحياة إليه وبني بيوتها وعمر موائدها والأكثر من ذلك أدعى بأنه خادماً لتلك الآلهة^(٣٠).

من خلال ما ذكرناها أنفاً يتبين لنا الدور الكبير الذي لعبته الدعاية الإعلامية الدينية المفتعلة والتي كان الغرض من ورائها تحقيق إنجازات سياسية قد تكلف الملوك الكثير لو إنهم عالجوها بالطريقة العسكرية التقليدية التي لو نجحت فأنها لا تطفئ نار الثورة ضد سلطتهم فبلوغ الهدف السياسي في الجانب العسكري قد يكون سهل المنال ولكن الصعوبة قد تكمن في الحفاظ عليه طويلاً ولعل ذلك قد دفع بالملوك الأقوياء إلى إعطاء الجانب الإعلامي دوراً كبيراً في تحقيق الأنتصار قد يضاهي الجانب العسكري وربما يعدو عليه وهذا ما لمسناه من خلال تلك المشاهد والأحداث.

تعددت أساليب الدعاية الإعلامية وأختلفت وسائله في العراق القديم وكان من بينها استخدام التشهير بسمعة بعض الملوك والأقوام لغرض تحقيق نصراً سياسياً ضدهم ويبدو من الواضح أن هذا الأسلوب كان يستخدم قبيل حدوث المنازلات العسكرية للتقليل من أهمية الخصم وعمل فجوة سياسية بينه وبين أتباعه وحلفائه لتحقيق النصر بأقل كلفة وأقصر وقت وشواهدنا على ذلك كثيرة لذا أرتئينا الأخذ ببعضها لتكون دليلاً على ما ذهبنا إليه وفي أحدها وجدنا الفرس بقيادة كورش الكبير بعد أن أحسوا بصعوبة احتلالهم لبابل عمدوا إلى استخدام طرق عديدة للغاية منها تذليل تلك الصعوبات اذا استخدموا الدعاية الإعلامية لتحقيق ذلك وكان الأسلوب المتبع في تلك الدعاية هو تشويه سمعة الملك البابلي من خلال التشهير به على لسان الكتبة الذين ذكروا في كتابتهم كلاماً بهيئة نثر وشعر مؤثراً في آذان المصغين له في كافة طبقات المجتمع ، وفحواه أن الملك نبونائيد كان سيئاً للغاية بحيث أنه لم يقدم أعمال بر وأحسان وأظهره على أنه دمر البنية التحتية لمدينة بابل من خلال غلق الطرق التجارية بوجه التجار وحرم الفلاحين من العمل في أراضيهم ولم يهتم بتنظيف الأنهار وإدامتها ونكل بالرجال البارزين في المدينة ، وحتى الحياة الدينية للملك نبونائيد كانت عرضه للتشويه إذ وصفوا أعماله الدينية وفي مقدمتها الصلاة اليومية بأنها خاطئة وقد حول عبادة الآلهة مردوخ إلى حقد عليه لأنه كان يقوم بأعمال شريرة ضده في مدينة بابل^(٣١) ، وأصبح سكان المدينة اناساً أحياء أشبه بالأموات عند ذلك أخذ الإله مردوخ يخطط لانتخاب ملك عادل يأخذ بيده في احتفالات رأس السنة البابلية^(٣٢) ، ووصفت تلك الدعاية خروج نبونائيد إلى تيماء هرباً من مشاكلها ولكي يريح نفسه من عنائها^(٣٣) ، وفي أحدهما ذكر على أنه ذهب بعيداً ولم يره أحد وقد عمل عملاً مستكراً في حران وصنع صنعاً أطلق عليه اسم الخطيئة وكان يروم إلى إلغاء احتفالات رأس السنة البابلية إضافة إلى أنه وضع المناصب الإدارية بيد الأجانب الذين لا يعرفون تطبيق أوامر الملك وتنفيذ رغباته^(٣٤) .

يبدو إن الغرض من هذه الدعاية هو زعزعة الثقة الموجودة بين سكان المدينة وملكهم من أجل إضعاف المقاومة التي سوف تواجههم منى ما حاولوا الهجوم عليها وان نجاحهم في مسعاهم هذا يعني أنهم كسبوا الجانب الأكبر من الحرب ويبدو أنهم نجحوا في ذلك بدليل احتلالهم المدينة خلال مدة قصيرة لم تتجاوز اليومين بالرغم من التحصينات التي عرفت بها والتي ضرب بها المثل القائل " إن الفرس قادرون على احتلال بابل عندما يلد البغل"^(٣٥) ، ويتضح لنا من خلال ذلك الدور الكبير الذي لعبته الدعاية الإعلامية في تذليل الصعوبات التي توجهها العمليات العسكرية عند احتلال مدينة كبيرة محصنة لا يمكن لأكثر الجيوش اختراقها عندما تكون أوضاعها الداخلية مستقرة وبحالتها الطبيعية.

وإذا أردنا التحدث عن العامل العسكري ودوره في الدعاية الإعلامية ذات المدلول السياسي البحت لا بد لنا من ذكر مسألة مهمة ألا وهي السياسات العسكرية التي أتبعها الملوك الأقوياء في بلاد الرافدين والذين عرفوا بحنكتهم السياسية والتي بدت واضحة من خلال الأحداث السياسية التي وقعت في زمانهم وكان في مقدمتها سياسة التهجير التي كانت تقتضي نقل أعداد كبيرة من سكان المدن المغلوب على أمرها واستبدالهم بسكان من مناطق أخرى تعرضوا لنفس المصير الذي تعرضوا له^(٣٦) ، وكان لهذه السياسة ايجابيتها فهي تقضي على المشاكل والاضطرابات وتكسر شوكت المرحلين أثناء سيرهم الى المناطق الجديدة أو أثناء استقرارهم في المناطق التي أجبروا على السكن فيها^(٣٧) ، قد أنعم الشعور القومي بالانتماء الى تلك الأرض عند هؤلاء المرحلين من خلال إحساسهم بالغربة حيث عاشوا في بيئة ومجتمع غريب عنهم ، وظل الهاجس الوحيد لديهم توفير لقمة العيش والبقاء على قيد الحياة ، وقد صوروا هؤلاء المرحلين على المنحوتات الأثرية التي بلغت كثيراً في أعدادهم ولعل الغرض من وراء ذلك هو إضفاء دعاية إعلامية على الجانب العسكري

والسياسي للملوك وإشارة واضحة للشعوب المنطوية تحت سلطتهم أن تلك السياسة ستصبح سارية المفعول عليهم متى ما ساروا على ماسار عليه أولئك المهجرون .

لعبت التحديات السياسية التي واجها الملوك القدامى دوراً في ابتداعهم لأساليب ووسائل دعائية جديدة الغاية منها تحقيق أكبر قدر ممكن من النصر الذي على ما يبدو اصبح واحد من الغرائز التي يحملونها وكانوا دائماً تواقين لأشباعها لذا نجدهم قد تفننوا في استخدام الدعاية الإعلامية لتكون أداة مهمة من أدوات تحقيق النصر ، فالمدن المحصنة تحصيناً متقناً كانت دائماً تشكل عقبة كبيرة بوجه الملوك الذين اتبعوا سياسة التوسع والاستعمار فهي تكلفهم الكثير من الخسائر المادية والبشرية التي هم بحاجة ماسة إليها من أجل تحقيق مبتغاهم لذا نجدهم قد أندفعوا في إيجاد حلول مناسبة لتخطي تلك المشكلة فوجدوا في الدعاية الإعلامية المغرضة ما يحقق لهم الجزء الأكبر من حلها فقد مالوا إلى تحطيم البنى الداخلية لتلك المدن قبل القيام بالعمليات العسكرية عن طريق استخدام مجموعة من سكانها ممن تضررت مصالحهم الشخصية من جراء سياسة ملوكهم الجائرة أو الذين عانوا الاضطهاد والتهميش أو أولئك الذين كانوا يحملون الضغينة لملوكهم لإشاعة الدعايات التي من شأنها أن تعرقل العلاقة بين الملك وشعبه وبالتالي سوف يؤدي ذلك إلى ضعف المقاومة العسكرية عند سكان تلك المدن بسبب الأنتشاقq والتمزق الذي ولدته تلك الدعايات والذي أدى بالتالي إلى تقاعسهم عن الدفاع عن مدينتهم كما ولد قسم ن تلك الدعايات اليأس لدى شريحة من أولئك السكان فوجدوا ان الأستسلام وفتح أبواب مدينتهم أمام العدو هو الحل الأمثل الذي قد يحافظ على بقائهم أحياء على أقل تقدير ، وهذا ما حدث مع مدينة بابل أبان دخول الفرس الأخمينيين إليها في عام ٥٣٩ ق.م ، إذ نجد ملكهم كورش الكبير قد نحا ذلك المنحى والذي تكلمنا عنه آنفاً عند احتلاله مدينة بابل فقد أستغل البعض من سكان المدينة ممن حملوا الضغينة لملوكها ولعل المقصود بذلك هم اليهود نتيجة التهجير الذي تعرضوا له أيام حكم الملك نبوخذنصر الثاني فقد بثوا الدعايات المغرضة ضد الملك البابلي وحرصوا بقية سكان المدينة بالثورة ضده والترحيب بالجيش الفارسي بقيادة كوبرو (٣٨) ، ولعل ما يؤكد ذلك هو ما جاء في نصوص الملك كورش حيث ذكر :-

" قواتي أخترقت بابل سلميا

ولم أسمح لأحد أن يثير الفرع

(في أي مكان) من (بلاد سور) واكد (٣٩)

وفي هذا إشارة واضحة إلى أن كورش قد حصل على مساعدة من بعض الجماعات ممن كانوا يسكنون بابل آنذاك وهم اليهود كونهم أكثر تلك الجماعات نفعاً سياسياً من وراء سقوط بابل ذا نجدهم قد توددوا للفرس عن طريق تقديم العون من الداخل وقد روجوا الدعايات والشائعات بأن ألهمهم (يهوا) هو الذي دعا كورش لأحتلال بابل (٤٠) ، بالمقابل فقد كافأهم كورش عندما سمح لهم بالعودة إلى وطنهم الذي هجروا منه فلسطين وسمح لهم ببناء الهيكل (٤١) ، وفي هذا دليل آخر على التعاون الذي حدث بينهم وبين الفرس من أجل سقوط بابل .

يبدو أن سياسة التهجير التي قام بها الملك البابلي نبوخذ نصر ضد اليهود قد حققت المبتغى السياسي للملك والمتمثل في التغلب على الشعور الوطني لهم والنتائج عن الارتباط المباشر بينهم وبين البيئة والأرض التي سكنوها والتي غالباً ما تدفع بهم بالثورة ضد السلطة البابلية وعندما أسكنهم بابل فأنتهم قد فقدوا ذلك الشعور وتولد بالمقابل عندهم شعور الكره والضغينة لملوك بابل وشعور المصلحة الخاصة المبني على أمل العودة يوماً ما إلى وطنهم فأخذوا يهتمون اهتماماً خاصاً بهذا الموضوع لذا نجهم قد وقفوا في بعض الأحيان وقفة تودد من الملوك البابليين الغرض منها تسيير مصلحتهم السياسية لا أكثر وعندما وجدوا إن هناك قوة

دخلت المنطقة أقوى من قوة ملوك بابل راجعوا حساباتهم السياسية فوجدوا من الأفضل التودد لتلك القوة كونها ستكون صاحبة الشأن السياسي في المنطقة فدعوا لها وربطوا مصالحهم بمصالحها فبثوا عند ذلك الدعايات السياسية المغرضة التي تحدثنا عن قسم منها أنفاً ، وعندما ضعف الأخمينيون وظهر اليونانيين كقوة لها شأنها آنذاك وجدنا إن اليهود مالوا عن سياستهم المعهودة مع الفرس ودعوا إلى نصره الملك اليوناني الأسكندر المقدوني إذ خرجوا لاستقباله بفرح كبير وعدوه مخلصهم من نير السلطة الأخمينية^(٤٢)، ويظهر إن اليهود قد انتهجوا سياسة انتهازية تولدت أبان دخولهم بابل بسبب فقدانهم للشعور الوطني لذا وجدناهم ينظرون للفرس على أنهم جاءوا ليخلصوهم من نير ملوك بابل فدعوا لهم بكل ما أوتي من قوة وتارة أخرى ينقلبون على الفرس ويدعون للأسكندر ويصفوه بأنه جاء ليخلصهم ليخلصهم من نير التسلط الفارسي ويبدو ان سياسة إتباع الأقوى هي السائدة في ادبيات الولاء اليهودي.

أن سياسة التهجير التي قام بها نبوخذ نصر الثاني لم تكن مقتصرة على اليهود وإنما شملت شعوب أخرى كالمصريين والمصريين واليونانيين^(٤٣) ، إلا أن الترحيل اليهودي قد طغى على بقية تلك الشوب ولعل السبب في ذلك الدعاية التي قام بها النصارى الذين انتشرت ديانتهم بشكل كبير في أنحاء المعمورة^(٤٤)، إذ عدوهم من الموحدين وكتابهم كتاب مقدساً وقد حمل بين طياته أخبار الترحيل التي عرضها بأسلوب مأساوي مثير للشفقة وقد دونت تلك الأخبار من قبل بعض الرهبان اليهود في بابل وقد اتخذت اسلوباً دعائياً مأساوياً كانت الغاية منه بالدرجة الأولى مكاسب سياسية تمثلت بدغدغة مشاعر شعوب العالم بنغمتهم الدعائية هذه للوقوف الى جانبهم ولا غرابة في ذلك فقد لا حظنا سابقاً من خلال هذا البحث كيف نشروا الدعايات المغرضة والتي كان الهدف منها مصلحتهم السياسية بالدرجة الأولى.

الخاتمة

أنصح لنا من خلال البحث الآتي :-

- ١-أستخدم الملوك الذين فرضوا سيطرتهم على مدينة بابل في الألف الأول قبل الميلاد لا سيما الأقوياء منهم الدعائية الإعلامية كأداة لتثبيت سلطتهم وتنفيذ مشاريعهم السياسية والعسكرية في المدينة وكحل للمعضلات التي كانت تواجههم في هذا الجانب خاصة تلك التي عجزوا عن حلها في الجانب العسكري.
- ٢-لقد ألفت الأساليب الدعائية التي استخدمها أولئك الملوك في الجانب السياسي الضوء على جانب كبير من الفكر السياسي الذي كان سائداً في بلاد الرافدين بصورة عامة وبابل بصورة خاصة آنذاك.
- ٣-ركز أولئك الملوك على إضفاء صبغة دينية على دعاياتهم الإعلامية ذات المدلول السياسي ليستخدموها كأداة ضغط على المجتمع البابلي من أجل تمرير سياستهم وتثبيت سلطتهم عليه من خلال دغدغة الشعور الديني واستمالتهم لتقبل تلك السلطة.
- ٤-كان للتحديات التي واجهها أولئك الملوك عند احتلالهم مدينة بابل دور كبير في استحداثهم لأساليب دعائية جديدة تماشت مع تطورات الأحداث السياسية المرافقة لتلك التحديات.
- ٥-يعد أسلوب التشويه والتشهير بسمعة الملوك أهم الأساليب الدعائية التي أستخدمها الملك كورش الكبير قبل احتلاله مدينة بابل لما له من آثار سلبية وعواقب وخيمة تمثلت بخلخلة العلاقة بين الملك وسكان المدينة وبالتالي زعزت البنية الداخلية لمدينة بابل مما سهل دخوله إليها خلال مدة وجيزة فاجئة الجميع بما فيهم سكان المدينة نفسها .

٦- ابتعدت الدعاية الإعلامية ذات المدلول السياسي في مدينة بابل عن استخدام عنصر الغلو والتطرف في أساليبها الدعائية قياساً بما كان شائعاً عند الآشوريين ولعل السبب في ذلك أن البابليين ركزوا على الجانب الحضاري لا سيما الجانب الديني منه الذي اتخذوه كشفيع لتخليد ذكراهم.

هوامش البحث

- ١- الأحمّد ، سامي سعيد ، كتابه التاريخ عند الآشوريين خلال عصر السلالة السرجونية ، سومر ، عدد ٢٥، ج١، ١٩٦٩، ص٤٨.
 - ٢- وهم من الأقوام الجزيرية نزلوا شمال العراق حوالي ٣٠٠٠ ق.م وكانوا على اتصال مع السومريين والأكديين وقد اختلف الباحثين في أصل تسميتهم منهم من يرى إنها مشتقة من أقدم مراكزهم الاستيطانية فيما يرى آخرون أنها مشتقة من أسم إلههم القومي آشور بلغوا مجدهم السياسي والحضاري خلال عصرهم الحديث (٩١١ - ٦١٢ ق.م).
- ينظر :

Tenen. M.A. The Ancient world , London 1937, p85.

Finer ,S,E, The History of Government, vol I ,New York 1999,p210.

-فيبرا ، موريس ، الآشوريين ، رسالة دبلوم عالي تقدم بها الطالب عبد الكاظم راضي محمد إلى مجلس كلية اللغات ، بغداد ١٩٩٧ ، ص٥٤-٥٧.

٣- روج،عراق القديم ، ترجمة حسين علوان ، بغداد ١٩٨٤ ، ص٥٢٦.

-- منير ، يوسف ، الرسوم والنقائش لصخرية في الوطن العربي ، تونس ، ١٩٩٧، ص٥٣.

٤-المني ، اري خليل ، أهم العناصر المعمارية في ابنية العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الموصل ، كلية الآداب ، ٢٠٠٥، ص٧٨.

٥-غزال هديب ، الدولة البابلية الحديثة والدور التاريخي للملك نبونائيد في قيادتها ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ١٩٨٩ ، ص٢٠٤.

٦-باقر ، طه ، مقدمة ... ، ج١، ص٦٢١.

٧-حازم ، حسين يوسف ، الملك الآشوري شلمنصر الثالث (٨٥٩-٨٢٤ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ص١١-١٥.

٨- تقع خرائبها في الضفة الشرقية من نهر دجلة على بعد ٣٧كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة الموصل ينظر : أغا ، عبدالله أمين ، العراقي ، ميسر سعيد ، نمرود ، بغداد ١٩٧٦ ، ص٨.

٩- الفهداوي ، يوسف خلف ، (المدلولات السياسية والعسكرية في مشاهد أستقبال الوفود الملكية والحكام في بلاد الرافدين)، مجلة كلية الآداب ، العدد ٦٣ ، بغداد ٢٠٠٢ ، ص٥٠٤ .

١٠-عكاشة ، ثروت ، الفن في العراق القديم ، بيروت ، د:ت ، ٤٤٨.

١١-وهو أله البرق والرعد والفيضان وكان يرمز له بشرارة البرق المتشعبة ولم تكن له مدينة مخصصة للعبادة وإنما عبد في جميع المدن العراقية ينظر : سليمان ، عامر ، العراق في التاريخ القديم ، موجز التاريخ الحضاري ، ج٢، الموصل ١٩٩٣ ، ص١١٩.

12-Gryson,the , Royal Inscrption of Mesopotamia Asyrian Periods Toronto , 1996,p130.

13-Lukenbill,D,Ancient Records of Assyrian and Babylonian,Ch,1927.vol2 ,p113.

١٤-حازم، المصدر السابق، ص٢٩.

- ١٥- الفتلاوي، أحمد حبيب ، أسر حدون (٦٨٠-٩٩٦ق.م) رسالة ماجستير غير منشورة جامعة واسط ،كلية التربية ن ٢٠٠٦، ص ١١٣.
- ١٦- لويد، المصدر السابق ، ص ١٨٤.
- ١٧- المصدر نفسه ، ص ١٨٤.
- ١٨- الدوري ، رياض ، اشور بانيبال (١١٩-٦٢٧ق.م) سيرته ومنجزاته ، بغداد ٢٠٠١ ، ص ٣٣.
- 19-Ragozin,Z,ssyria,New York ,1912 ,pp36-40.
- ٢٠- وهو الإله القومي لمدينة بابل أين الإله أيا وهو بطل قصة الخلق البابلية ويتخذ من معبد أيساكيلاً مقراً له في بابل مع زوجته الألهة أوزر بانيتو ينظر :- بوتيرو جان ، بلاد الرافدين الكتابة - العقل-الالهة، ترجمة الأب البيير أبونا ، بغداد ١٩٩٠، ص ٣٧١.
- ٢١- مورنكارت ، انطوان الفن في العراق القديم ، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه ، بغداد ١٩٧٥، ص ٢٢٤.
- * ويعني بيت القمة العالية أو البيت الشمخ وه معبد افله مردوخ أله بابل القومي ينظر :
- George,A,House moust high the temples of Ancient Mesopotamia , 1993,p139.
- ٢٢- وهو من الأقوام الآرية التي نحت إلى الأقسام الجنوبية من غيران في بداية الألف الأول قبل الميلاد وقد شكلوا عند ذلك واحدة من أكبر الإمبراطوريات التي عرفها العالم القديم وقد حكمت خلال النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد وكان أبرز ملوكها الملك كورش الكبير والذي جاءت شهرته خلال ذكره في التوراة ينظر :-
- Olmsted, A, History of the persien empire .Chicago , 1959, p34.
- 23-Fingn,J,Light from the Ancient past ,volI,New york,1959,p229.
- 24-Maquee,C,Babylon,london1969,p213.
- 25-Chirshman,R,Iran,London,1969,p132.
- 26-Wieshofer,J,Ancient Persia ,New York ,1999,p51.
- ٢٧- تقع أطلالها الى الجنوب من مدينة الحلة وعلى بعد ١٥ كم تقريباً وبورسبا تسمية سومرية معناها " قرن البحر " وهي مركز عبادة الإله نابو أله الكتابة في بلاد الرافدين ينظر :- صالح ، قحطان رشيد : الكشاف الأثري في العراق ن بغداد ١٩٨٣، ص ٢١٧.
- ٢٨- وهو الأسم السومري لأله القمر الذي كان الجزيريون (الأكديون) يسمونه " سين " ومركز عبادته مدينة أور وهو والد افله " شمس " في مجمع الألهة السومرية ينظر : بوتيرو ن المصدر السابق ، ص ٣٧٣.
- ٢٩- واحدة من المدن المهمة في جنوب بلاد الرافدين يعود تأريخها إلى الألف الخامس قبل الميلاد تقع خرابها اليوم شرق ناحية الخضرة وعلى بعد ١٥ كم ينظر : صالح ، المصدر السابق ، ص ٢٤٥-٢٥٣.
- 30- Olmsted, A, History of the persien empire .Chicago ,1923,p51.
- 31-Olmsted , op cit ,p53.
- 32-Prichard,B,ancient Near Eestern, New Jeresy . 1969,p206.
- 33- Olmsted , op cit ,p55.
- 34-Beaulieu ,P,KingNabonidus
The Babylonian empire in CANE ,vol 2, New York2000,p978.
- ٣٥- الشيخلي ، عبد القادر ، المدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة ، القسم الأول الوجيز في تاريخ العراق القديم ، الموصل ١٩٩١ ، ص ٣٣٥.
- ٣٦- عبدالله، يوسف خلف ، الفكر العسكري في العراق القديم ، أطروحة دكتوراه ، المعهد العربي للتاريخ ، بغداد، ١٩٩٦ ن ص ٦٥، الجبوري ، علي ياسين ، الإدارة ، موسعة الموصل الحضارية ، الموصل ١٩٩١ ،

ص ٣٧٦، عطا ، صلاح رشيد ، السوق العسكري للدولة الآشورية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العربي للتاريخ ، بغداد ١٩٩٨، ص ١٨٠ .

٣٧- فرحان ، وليد محمد صالح ، العلاقات السياسية للدولة الآشورية و رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ١٩٧٦، ص ١٣٦ .

38-Dobnov ,S,History of Jews from the beginning to Early Christianty vol 1,New York and London 1967, pp 331-333.

39- Wieschofer ,J,op cit,pp44-45.

٤٠-التوراة ، سفر أرميا ، ٥٠:٦-١٠ .

41-Sykes,p,History of Persia, London, 1930,p153.

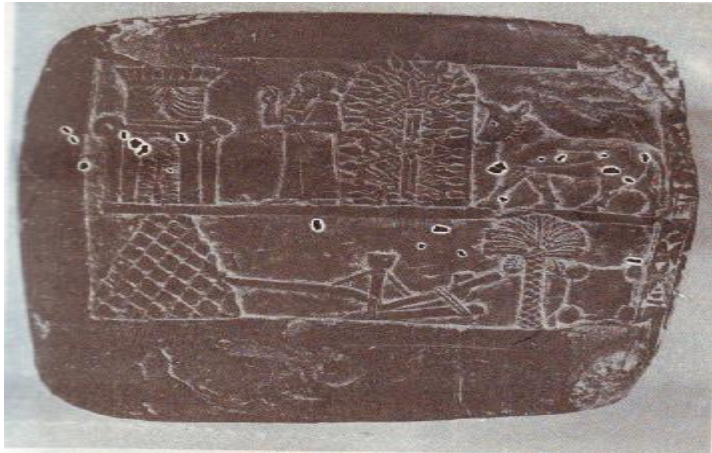
42-Ibid,pp244-253.

٤٣-فاضل ، عبد الإله ، أهم الشخصيات ودورها في تاريخ العراق القديم،في كتاب تاريخ العراق قديمه وحديثه ، بغداد ١٩٩٨، ص ١٣٩-١٤٠ .

٤٤ - السواح، فراس ، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم ، ط٥، دمشق ١٩٩٠، ص ٢٧٥ .



شكل رقم (١)



شكل رقم (٢)



شكل رقم (٣)

Abstract

In the old history of Mesopotamia , there are many of leaders characters from the king prefrom important role in order to change the events of polisy which happened through a perod of the rule.

Many of these events reflected on the civilization aspects and played found mental role to foundation of Globel civilization , and to development and prosperity that civilization. The evidences which founded in a work of runis and movements which many of it still stand to these days.

There are many factors helped the leaders in order to make these achievementsn as be firm the rule and means to appley the polisy.

There are to part of the information advertisement, the first is positive, the other is negative. The positive use by the king to make changes by the behavior of people to benefit the king to fixed his rule.The negative adver tisement to stop any many means to spread the advertisement like a psychology wars, stand by annies , and terrorize the others.

The researcher divided the research in to parts, the first is discussed the means and styles which founded by in the runis of the kings who ruled the city of Babylonia as movements and obelisks. In second part , the researcher discussed the means and styles which used by policy events in the city of Babylonia as a battles and the effectes of (**in formation a advertisements**) on the result of the battles .